مجلة كلية الآداب. جامعة الإسكندرية، المجلد ٧٢ ، العدد ١١٠، اكتوبر ٢٠٢٢

إعادة بناء الجملة القرآنية

Restructuring Quranic Sentences

أ.د. مجدي محمد حسين

Magdy Mohammed Hussein

Email: dmagdy_hussein@hotmail.com

٢٠٢٢م

ملخص البحث

أردنا من هذا البحث أن نؤكد على أننا نقوم أحيانًا بعملية إعادة بناء الجملة القرآنية وإعادة الصياغة كي يتفق المراد والمعنى المستقر مع الهيئة التركيبية للجملة ومفرداتها.

تجلى ذلك في الجمل الشرطية والتقديم والتأخير وإعادة ترتيب بعض التراكيب على نحو ما أشرنا في هذه الأسطر.

الكلمات المفتاحية:

الجملة الشرطية – إعادة الصياغة – التقديم والتأخير

Summary of the research

We wanted through this research to emphasize that we sometimes reconstruct a Quranic sentence. We do this reconstruction process to make the required meaning and the original meaning suit the structural shape of the sentence and its words.

This was very clear in the conditional sentences, putting a word before or after another and the rearrangement of some structures the way we drew the attention to in these lines.

Key words:

Conditional Sentence, Rephrasing, Foregrounding and Backgrounding

مقدمـــة

نقوم في كثير من الأحيان عند التعامل مع النص القرآني بتدخل من نوع ما لإعادة بناء الجملة وإعادة الصياغة، بل وفض الاشتباك وعملية أشبه بتصحيح التركيب لكي يتسق المعنى مع الفهم العام؛ إذ قد يقول التركيب شيئًا والذي نفهمه شيء آخر، فلابد من تعاون متعاطي القرآن مع النص لكي يستقيم له المعنى.

يكون ذلك بإعادة الصياغة أو بإعادة ترتيب الجملة ومراعاة ما وقع في الآية من تقديم وتأخير أو جبر وإكمال ما يبدو كأنه نقص للتركيب.

وقد تكون مفردات الجملة القرآنية واضحة سهلة ومع ذلك يبقى المعنى مستغلقًا مبهمًا يحتاج إلى تدخل لحل طلاسم التركيب.

أولًا- الجملة الشرطية:

﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ (النحل: ٩٨)

تقول الآية-وفق معطيات اللغة- إذا قرأت القرآن وشرعت في القراءة بالفعل عندها وعندها فقط استعذ بالله أي: استعذ به بعد أن تأخذ في القراءة، وهذا ما قال به بعضهم وعملوا به كأبي هريرة أي يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم بعد الفراغ من القراءة.

ولما كان الواقع خلاف ذلك وكانت الاستعاذة سابقة على القراءة قالوا المعنى: إذا شرعت وأخذت وأردت قراءة القرآن فاستعذ بالله، أي ابدأ بالاستعاذة كما هو حاصل، وكأننا نقوم بإعادة بناء الجملة، نتبين الإشكال مع تركيب مماثل ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾ (المائدة: ٦) فالآية تأمر بغسل الوجه والأيدي بعد القيام للصلاة والفراغ منها وليس قبل ذلك فكان لابد من التأويل والتصحيح، أي إذا أردتم أن تقوموا إلى الصلاة فابدأوا بغسل أيديكم ... إلخ، مثال آخر جاء على الأصل دون تأويل: ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (الجمعة: ١٠) فالانتشار في الأرض بالضرورة بعد الفراغ من الصلاة كما تأمر الآية وليس قبل ذلك.

* * *

﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ** ﴾ (البقرة: ٢٣١)

ظاهر معنى الآية ينص على أن الرجل إذا طلق المرأة وبلغت عدتها وهي ثلاثة أشهر من وقوع الطلاق يكون بعدها مُخيرًا بين الإمساك عليها أي إبقائها في عصمته أو مفارقتها وتركها لسبيلها كل ذلك في إطار من المعروف وحسن المعاملة.

ولكن هذا المعنى يتنافى مع ما قرره الفقهاء وأوضحته الشريعة بأن المرأة إذا بلغت عدتها لا يحق لزوجها أن يراجعها إلا بعد موافقتها وموافقة ولي أمرها فما معنى قوله تعالى: (**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**)؟

نزلت هذه الآية في ثابت بن يسار ويُقال أسنان الأنصاري طلَّق امرأته حتى إذا بقي معها يومان أو ثلاثة وكادت أن تبين راجعها، ثم طلقها، ثم راجعها، ثم طلقها حتى مضت سبعة أشهر مضارة لها، ولم يكن الطلاق يومئذ محصورا.

* * *

(**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) (النساء: ١٧٦)

لنتأمل هاتين العبارتين (فإن كانتا اثنتين)، (وإن كانوا إخوة) الألف في (كانتا) ألف الاثنين ضمير يعود على الأختين وإن لم يسبق لهما ذكر ولكن فُهم من الكلام، فيصير التقدير: "فإن كانت الأختان اثنتين"، وهذا التركيب لا يفيد جديدًا، ولذلك منع النحاة (سيد الجارية مالكها) لأن الخبر لم يزد على ما أفاد المبتدأ، والخبر هنا دل على ذلك العدد المستفاد من الألف في (كانتا)، وروي أن أحدهم سأل الأخفش: أليس خبر كان يفيد معنًى ليس في اسمها؟ قال: نعم، قال: فأخبرني عن (كانتا اثنتين) أليس قد أفاد بقوله: (كانتا ممن أراد فلم يحتج إلى الخبر)؟

ومثل هذا يقال في الجملة الثانية (وإن كانوا إخوة) أي (وإن كان الإخوة إخوة).

وكأن التركيب في حاجة إلى إعادة صياغة بأن يكون المعنى: (فأما الأختان فلهما الثلثان مما ترك، وأما الإخوة فللذكر مثل حظ الأنثيين).~

* * *

﴿ وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ (طه: ٧)

الذي يمكن أن يُفهم من ظاهر التركيب أن الله يعلم السر وما هو أخفى من السر، وهذا الأمر مشروط حال الجهر بالقول، وما عدا ذلك فلا يتحقق له هذا العلم، هذا ما تفيده الجملة الشرطية، وهذا المعنى بالضرورة غير مقصود رغم إفادة التركيب له، وهذا معناه عدم وجود علاقة بين فعل الشرط وجوابه، وكأن الجواب محذوف والجملة ناقصة أو في حاجة إلى تأويل وتعديل، فلو قيل مثلًا (فلا تجهر بالقول). كأن التقدير: (فلا تجهر بالقول) ثم يأتي التعليل لهذا النهي بأنه يعلم السر وأخفى بحيث يكون التركيب متسقًا مع فهمنا للآية، أو كأن يكون التقدير: (سواء جهرت بالقول أم لم تجهر به) فإنه يعلم السر وأخفى، أما التركيب على هذا النحو فلا يفيد هذا المعنى، ونحن في الحقيقة نقوم بعملية تصحيح للعبارة.

* * *

ثانيًا: إعادة صياغة الجملة:

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: ١١١)

لليهود والنصارى أن يعترضوا بأنهم لم يقولوا شيئًا من ذلك، فمعلوم أن كل فريق يظن أن الفريق الآخر ليس على شيء، فيتعذر والحال هذه أن يقولوا مجتمعين ﴿ **لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى** ﴾ فكل طائفة –بما في ذلك المسلمون– تظن أن الجنة خلقت لها وحدها.

وسبب النزول يبين أنهم اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا وكفَّر بعضهم بعضا، فكيف بعد ذلك يصرح القرآن أنهم قالوا شيئًا لم يصدر منهم؟ وعليه فالتركيب في حاجة إلى إعادة بناء، بل تجاوز هذا الأمر إلى التصويب والتصحيح وإعادة الصياغة، كأن التقدير: "وقالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى".

والحقيقة أن ما صدر منهم وتفوهوا به بعد فض هذا الاشتباك أمنية واحدة، فكان القياس (تلك أمنيتهم) إلا أن القرآن جعلها أماني، وقد يكون سبب ذلك أن هذا القول صدر من عدد كثير فجمعها لكثرة القائلين، وجعلها الزمخشري إشارة إلى الأماني السابقة التي ودها هؤلاء بألا ينزل على المؤمنين خير من ربهم، وأمنيتهم أن يردوهم كفار، وهو بعيد.

* * *

(**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) (البقرة: ١٣٥)

جاءت الجملة الأولى على هيئة لغز وفزورة وعلى القارىء حل طلاسم العبارة، فاليهود والنصارى في الحقيقة لم يقولوا شيئًا من ذلك، ولكن قالت اليهود كونوا هودًا تهتدوا، وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا، فأجمل ما قالوا في جملة واحدة وعلى القارىء فض الاشتباك بين الفريقين، فالنص الذي معنا يقول: إن اليهود والنصارى اتفقوا فيما بينهم وأعلنوا أن أيًا من الديانتين تجزىء وتؤدي الغرض والواقع يقول خلاف ذلك، وهذا شبيه بقوله (**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى**) (البقرة: ١١١) وهم أيضًا لم يقولوا شيئًا من ذلك –كما أشرنا–، بل ادعت كل فرقة أن الأخرى ليست على شيء وأخذوا يكيلون لبعضهم الاتهامات، وكانت العداوة بينهما متأصلة خلافًا لما تفيده هذه النصوص هنا.

* * *

(**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ**)

(آل عمران: ٩٠– ٩١)

تشعر أن الآيات التي معنا كأن بها نقصًا وفي حاجة إلى إعادة صياغة وبناء، وكأنها تمثل تراجعًا ونسخًا للآية السابقة لها:

فقد قالت الآية (٨٦): **(كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ)** ثم استثنت الآية (٨٩) هذا العموم **(إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا)** وجاءت الآية التي معنا لتنسخ الآية قبلها أو تتعارض معها كأنه تراجع عن قبول التوبة، فهذه الآية تبدو كأنها تُيئِّس مَن كفر وتمادى في الكفر من قبول توبته وتتنافى مع الفهم العام من أن الله يقبل توبة العبد مهما ارتكب من المعاصي والذنوب، بل إن الحديث يقول إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أي حتى عند حضور الموت وقبيل خروج الروح، وهذا الحديث كذلك يتنافى مع الآية من سورة النساء: **(وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ)** (النساء: ١٨).

أما النقص فتشعر به في قوله (**لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ**)، فآخر ما وصلنا عن هؤلاء أنهم ازدادوا كفرًا ولم تخبرنا الآية أنهم تابوا أو فكروا في التوبة ولا يعقل أن تقبل توبة مَن لم يسألها وبالتالي لم يتب، إلا إذا كان التقدير: "لن تقبل توبتهم إن تابوا" أو "ثم ازدادو كفرًا ثم تابوا لن تقبل توبتهم ... إلخ".

والآية الثانية كأنها في حاجة إلى إعادة صياغة فالذي يقدم ملء الأرض ذهبًا –وهذا مجرد فرض– إنما يقدم على ذلك ليفتدي به ولا يمكن أن نتصور شيئًا آخر خلاف ذلك كأن يكون بيعًا وشراءً مثلًا أو هدية ورشوة، كأن المعنى: (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار لو افتدى بملء الأرض ذهبًا لن يقبل منه) وهكذا تبدو غرابة التركيب دون إجراء هذا التعديل.

* * *

(وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا)

(الإسراء: الآية ١١)

هذه عبارة قرآنية متداخلة الألفاظ وتحتاج إلى فض اشتباك أو تقدير محذوفات ليعرف المراد، وربما يتم بيانها بعيدًا عن نظم كلماتها بما يجب أن يكون عليه المعنى، فرغم وضوح مفردات هذه الجملة القرآنية إلا أن معناها يبقى مغلقًا، فتركيب ألفاظِها غير معهود، وكأن المعنى (ويدعو الإنسان بالشر) مثل دعائِه أو كدُعائه بالخير فما معنى هذا الكلام بعد هذا الجبر وهذه الإضافة؟

قال ابن عاشور: موقع هذه الآية هُنَا غامض، وانتزاع المعنى من نظمها وألفاظها أيضًا، ولم يأت فيها المفسرون بما يثلج له الصدر.

* * *

(قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) (الإسراء: ١١٠)

يقرر المفسرون واللغويون أن (أو) في الآية للتخيير، وهذا الرأي يرسخ فكرة التعدد، فالتخيير لا يكون إلا من متعدد وهذه المسألة تتنافى مع التوحيد والتنزيه، كما أن قوله تعالى (أَيًّا مَا تَدْعُوا) رسخ هذا المعنى فـ (أيًا) اسم موصول مبهم وقع شرطًا للاختيار من بين اثنين نقول: "أي الرجلين قابلت"، "أي الكتابين قرأت".

وكأن الآية في حاجة إلى إعادة صياغة وبناء كأن يكون التقدير: "قل ادعوا الله الذي هو الرحمن"، أو "قل ادعوه الله"، أو "ادعوه الرحمن" ... إلخ.

(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) (المؤمنون: ١٢- ١٣)

نعود إلى مطلع هذه الآيات فلطالما سمعناها وقرأناها دون أن يستوقفنا غالبًا معناها وطريقة نظم مبناها، فمرجع الضمير في قوله (**ثُمَّ جَعَلْنَاهُ**) يعود على الإنسان المشار إليه في الآية السابقة، فكيف يكون الإنسان بعد خلقه نطفة من سلالة من طين وقد تم خلقه إنسانًا؟ فالآيات هنا كأنها في حاجة إلى إعادة بناء، فالإنسان الذي خلقه سبحانه من طين ليس هو الذي جعله نطفة في قرار مكين وإنما كان ذلك لذريته كما جاء في موضع آخر (**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ**) (السجدة: ٧ – ٨) ونحن نفهم المعنى ضمنًا وإن كان التركيب يقول شيئًا آخر؛ إذ كيف يجعله في قرار مكين داخل الرحم بعد أن تم خلقه من طين؟ فالكلام بدءًا عن آدم الذي خلقه من تراب في آية ومن طين في أخرى ومن صلصال في ثالثة.

* * *

ثالثًا- التقديم والتأخير:

(**الَّـذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِالْغَيْـبِ وَيُقِيمُـونَ الصَّـلَاةَ وَمِمَّـا رَزَقْنَـاهُمْ يُنْفِقُـونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**)

(البقرة: ٣ – ٤)

لعل أثر الفاصلة في إعادة ترتيب الآية الأولى أوضح، أعني جملتها الأخيرة (**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**) فليس في تقديم (مما رزقناهم) زيادة اختصاص أو اهتمام، فكان أولى بهذا الاختصاص والاهتمام الجملتان السابقتان لها (**الَّـذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِالْغَيْـبِ**)، (**وَيُقِيمُـونَ الصَّـلَاةَ**)، ألا ترى أن كثيرًا من الناس -وخاصة في زماننا- ينفقون تحت مسميات مختلفة وأهداف متباينة، وهم مع ذلك لا يؤمنون بالغيب ولا يقيمون الصلاة، فكان الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة أعظم وأشق على النفوس لما يتبعه من تكاليف وهو أولى بالتقديم، ولكن الآية لا تخص عملًا بعينه وإنما تشير إلى فئة من الناس هذه صفتهم، ولابد لها من مقطع تقف عنده فجاء النسق على هذا النحو.

وتشعر أن هذه الجملة الأخيرة (**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**) كأنها ناقصة، فكل الناس تنفق سواءً اعتقدوا أن هذه الأموال رزق من الله أم من عمل أيديهم وكدهم واجتهادهم، بل قد يكون هذا الإنفاق في الحرام، فالذي يشتري بماله خمرًا ينفق مما يرزقه الله، بل إن السارق ينفق كذلك مما رزقه الله كما قال أهل السنة، فيجب أن يكون الإنفاق مقصورًا على وجوه البر والخير والتصدق على المحتاجين كأن الآية تريد أن تقول: (ومما رزقناهم يتصدقون ويبذلون) فليس الأمر مجرد إنفاق كما يفيد النص.

وتشعر كذلك أن الآية الأولى والثانية كأن بهما تقديمًا وتأخيرًا وفي حاجة إلى إعادة ترتيب، فيفترض أن يكون الإيمان بما أُنزل من كتب أولًا ثم يكون بعد ذلك إقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله، ودعك من الذين يقولون إن (الواو) لا تفيد ترتيبًا فيجب أن تفيد الترتيب رغم أنفها فهذه المقولة حجة البليد.

* * *

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾

(البقرة: ٢٨٢)

قوله: ﴿ **أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى** ﴾ يبدو كأنه جملة مقلوبة فكأن أصل الكلام: فتذكر إحداهما أن تضل إحداهما، قال الطبري: وهو عندهم من المقدم الذي معناه التأخير، لأن التذكير عندهم هو الذي يجب أن يكون مكان تضل، وحاول الزمخشري تبرير مجيء التركيب على هذا النحو بقوله: لما كان الضلال سببًا للإذكار، والإذكار مسببًا عنه وهم ينزلون كل واحدٍ من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت إرادة الضلال المسبب عن الإذكار إرادة للإذكار؛ فكأنه قيل: إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى إن ضلت، ونظيره قولهم: أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعمه، وأعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه.

وكان المتوقع أن يأتي التركيب هكذا: (أن تضل إحداهما فتذكرها الأخرى) لأن تكرار إحداهما جعل التي ضلت هي التي ذكرت، إذ يجب الترتيب في مثل هذه التراكيب التي تتوارى فيها العلامة الإعرابية (إحداهما الأخرى) نحو: "ضرب موسى عيسى".

قال أبو حيان: وأما على التركيب القرآني فالمتبادر إلى الذهن أن إحداهما فاعل (تذكر) والأخرى هو المفعول، ويراد به الضالة، لأن كلًا من الاسمين مقصور، فالسابق هو الفاعل، ويجوز أن يكون إحداهما مفعولًا والفاعل هي الأخرى لزوال اللبس، إذ معلوم أن المذكرة ليست الناسية فجاز أن يتقدم المفعول ويتأخر الفاعل، فيكون نحو: "كسر العصا موسى"، وعلى هذا الوجه يكون قد وضع الظاهر موضع المضمر المفعول، فيتعين إذ ذاك أن يكون الفاعل هو الأخرى، وقيل إحداهما الأولى خاصة بالشهادة والثانية خاصة بالمرأة، وكأن التقدير: أن تضل الشهادة فتذكر إحداهما الأخرى.

(**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**)

(آل عمران: ١١٠)

تشعر كأن الآية الأولى في حاجة إلى إعادة ترتيب؛ إذ يفترض أن يكون الإيمان بالله أولًا ثم يأتي بعد ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ إذ كيف يقومون بهذه الأفعال قبل إيمانهم أو قبل مجيئه متأخرًا عن هذه الأفعال المترتبة عليه وليست تالية له؟

وقد جاء النظم على الأصل والترتيب المعهود في الآية بعدها (**يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ**) فبدأت بالإيمان بالله واليوم الآخر ثم بعد ذلك يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمسارعة في الخيرات، فلا يستقيم القيام بهذه الأمور دون أن يسبقها الإيمان بالله واليوم الآخر.

* * *

(**الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**)

(آل عمران: ١٦٨)

(**الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا**) تبدو هذه العبارة على هذا النحو غريبة **(قالوا وقعدوا)** وللوهلة الأولى يفترض أن الواو عاطفة أو اعتراضية إلّا أن المعنى أقرب إلى كونها حالية ولكنها جاءت على غير المعتاد وعلى خلاف ما تقضي به القاعدة ويشهد له الاستعمال من اقتران الفعل الماضي بـ (قد) لتقريب الماضي من زمن الحضور (وقد قعدوا) كما ورد في تراكيب كثيرة نحو: (**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ**) (البقرة: ٧٥)، ونحو: (**أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ**) (آل عمران: ٤٠).

وقد خطر ببالي أنه يمكن إعادة بناء هذه الجملة بحيث تنتج لنا معنًى جديدًا قد يكون أكثر قبولًا كأن يكون التقدير بعد إعادة الترتيب (الذين قالوا لإخوانهم لو أطاعونا وقعدوا ما ماتوا وما قتلوا) فهذا رأي وتوجيه لم أسمعه فيما قرأت من مفسر.

* * *

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴾ (النساء: ١٦٣)

الملاحظ أن الرسل داخل هذه الآية في حاجة إلى إعادة ترتيب زمني، فعيسى مثلًا متأخر عن أيوب ويونس وهارون وسليمان وداود، وكذا سليمان متأخر عن أبيه، ولا تلتفت إلى من يقول إن الواو لا تفيد ترتيبًا فما الذي يمنعها أن تفيد هذا الترتيب خصوصًا في القرآن؟ وقد تكون هناك أسباب أخرى معنوية يمكن قبولها عدا مسألة عدم إفادة الواو الترتيب.

الخاتمة

أردنا من هذا البحث أن نؤكد على أننا نقوم أحيانًا بعملية إعادة بناء الجملة القرآنية وإعادة الصياغة كي يتفق المراد والمعنى المستقر مع الهيئة التركيبية للجملة ومفرداتها.

تجلى ذلك في الجمل الشرطية والتقديم والتأخير وإعادة ترتيب بعض التراكيب على نحو ما أشرنا في هذه الأسطر.